الغموض في الشعر العربي المعاصر بين التعمية والإبداع

مقاربة تطبيقة في نماذج مختارة

Ambiguity in modern arabic poetry between mystification and creation

Applied study of chosen models

***د.زهيرة بارش**

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2،(الجزائر)، nour1yakine@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/11/27 تاريخ القبول: 2023/05/14 تاريخ النشر: 2023/12/17

ملخص: يُعدُّ الغموض من أبرز الظواهر التي ميزت التجربة الشعرية العربية المعاصرة، فقد عُدّ تارة من إفرازات الحداثة، وتارة أخرى ضرورة فكرية. ويهدف البحث إلى ضبط أسباب هذه الظاهرة، وتحديد أنواعه ومظاهره، ثم قراءة في الموقف النقدي العربي منه، وتقديم مقاربة تطبيقية بهدف تقريب المفاهيم، وضبط النتائج بدقة.

وقد أفضت الدراسة إلى تلخيص الأسباب في: النص، المبدع والمتلقي، وتقسيمه إلى غموض إبداعي، وغموض معقد. وتنوعت تجلياته في الشعر العربي المعاصر بين الرمز والتكثيف الدلالي والانزياحات. وقد تباين الموقف العربي منه، بين الرفض على أساس أنه من إفرازات الحداثة الغربية، وبين القبول لكونه ضرورة حتمية فرضتها التحولات الفكرية. وقد اتضح من خلال المقاربة التطبيقية أن الغموض السلبي ناتج عن التعقيد اللفظي، وتحوير الصور الشعرية بطريقة غير منطقية، أما الإبداعي فيمكن عده من صميم العملية الشعرية.

الكلمات مفتاحية: الغموض، التجربة الشعرية، الحداثة، التحولات، الإيماءات.

Abstract: Ambiguity has prominently characterised modern Arab poetry experience,It is considered as a modernism aftereffect but also as an intellectual necessity because of transformations in various fields. This research aims at adjusting the causes of ambiguity and identifying its types and aspects in the modern poetic text. It also attempts to offer a reading in the Arabic critical positions in this regard. The study concluded that the causes can be summarised in three elements: The text, the creator and the receiver. As for the types, there are creative and complicated ambiguities. Regarding the critical positions, some rejected it as it was an occidental modernism consequence, others accepted it as it was imperative to the intellectual transformation. it became clear that negative ambiguity is resulted from verbal complexity, whereas the creative one is at the very heart of poetry.

Keywords:ambiguity,poetry experience,transformations,reductionist significance.

***المؤلف المرسل**: د.زهيرة بارش، **البريد الإلكتروني**: nour1yakine@yahoo.fr

1.مقدمة:

تميّزت التجربة الشعريّة المعاصرة في الإبداع العربي بعديد الخصائص والمزايا، يُعدّ الغموض أبرزها، فقد شكّل محورا هامّا من محاور الجدل الفكري في السّاحة النقدية العربية الحديثة، حيث تباينت الآراء إزاءه، بين من يعتبره ضرورة حتمية فرضتها ظروف الإنسان المعاصر، على اعتبار أن الأدب جزء من حياة الإنسان وفكره، فهو يتأثر آليا بتلك التغيرات والتحولات الحاصلة.

ويبتدئ الغموض في مراحله الأولى على مستوى اللغة، حيث يحمّلها المبدع من الدلالات المختزلة غير المباشرة ومن الإيماءات ما يستبعد المعاني المباشرة أثناء عملية التلقي إلى مستويات أعمق للمعاني والدلالات بلغة أعقد.

وتهدف هذه الورقة البحثية إلى إضاءة مختلف المحاور التي تتعلق بهذه الظاهرة، والإحاطة بكل حيثياتها، عن طريق ضبط أسباب الغموض وتحديد أنواعه ومظاهره في النص الشعري المعاصر، ثم قراءة في الموقف النقدي العربي من الظاهرة، مع الوقوف عند مبررات ومسوغات كل رأي.

بناء على ما سبق، يمكن صياغة أسئلة البحث كالتالي: ما هي أسباب الغموض في الشعر العربي المعاصر؟ وما هي أنواعه؟ ومظاهره؟ وما الموقف النقدي العربي منه؟ تلكم هي الأسئلة التي ستجيب عنها هذه الدراسة في شقيها النظري والتطبيقي. فالشق النظري شكل إطارا هاما لضبط المفاهيم وتوضيح المبهم منها، وقد اعتمدت فيه على المنهج الوصفي باعتباره الأنسب لمثل هذه الدراسة.

وبغية توضيح الصورة بشكل أفضل، وتقريب المدلولات بطريقة أيسر، وضبط النتائج بدقة، تم تقديم مقاربة تطبيقية لنماذج عربية مختارة، مثلت البحث في شقه التطبيقي، وتمثلت هذه النماذج في كل من الشاعرين أدونيس وتميم البرغوثي، ومن الجزائر الأخضر فلوس وعبد الملك بومنجل. وقد اعتمدت القراءة في هذا الجزء التطبيقي على آليات التحليل والنقد للرؤى والنتائج المتوصل إليها. ويختم البحث بحوصلة لأهم النتائج التي خلص إليها.

2. أسباب الغموض في الشعر العربي المعاصر:

يجد الباحث في قضية الغموض في الشعر المعاصر، أنّ أسبابها متعددة ومتداخلة، فهي لا تتعلق بمستوى النص الشّعري فحسب، وإنما قد تكون موجودة على مستوى الشاعر، بل والمتلقي نفسه «ظاهرة الغموض قضية أدبية نقدية، لذا فهي تتصل بمجموعة من النظريات التي تتوزع ما بين الأدب والنقد والمعارف التي تتصل بهما: نظرية الأدب تاريخ الأدب، نظرية القراءة أو استجابة القارئ، علم الاجتماع، علم النفس، الأنثربولوجيا»[1]، ويمكن إجمالها في ثلاث مستويات: النص، المبدع والمتلقي.

2.1 أسباب متعلقة بالنص :

يقوم الشّعر أساسا على الشعرية، أي تلك الخصائص التي تجعل الأدب أدبا، ولن يتأتّى ذلك إلا بالانزياحات التي تحدثها الأساليب الأدبية المختلفة، «ولا يخفى على أحدٍ أن لغة الأدب عامَّة – والشعر خاصة – هي لغة غامضة بطبيعتها؛ لأنها تعتمد على الإيماء والرمز، وعلى التلويح دون التصريح، فدلالاتها مكسوَّة بثوب من الشفافية والستر، يُوحي الأديب بها ولا يُجَلّيها، ويُشير إليها ولكنه لا يمسك بها»[2] ، فالشعر يقوم أساسا على فكرة الغموض، التي يكتسبها من خلال الانزياحات والرموز وغيرها من الصور الشعرية التي تتجاوز المستوى المباشر إلى المستويات العميقة.

كما أن كل قصيدة تكتب في ظروف خاصّة وحيثيات خاصة وتجربة شعورية خاصة، فإذا تغيرّت هذه المعطيات تتغير المعاني بدورها، وتأخذ دلالات جديدة قد تكون مبهمة بسبب إخراجها من سياقاتها الأصلية، وفي هذا الصدد يقول أحدهم: «ظاهرة الغموض في الشعر العربي لا يمكن أن تفهم بعيدا عن السياق الاجتماعي الذي أفرزها، ولفهم هذا السياق الاجتماعي لابد من النظر إليه في إطار حركة المجتمع العربي الكلية في التاريخ ابتداء من العصر الجاهلي، وذلك لتوضيح أهم المنعطفات في مفردات المهاد الحضاري العربي، وعلاقة هذه التحولات بالإبداع » [3].

2.2 أسباب متعلقة بالمبدع:

نظرة الشّعراء للشعر تختلف من شاعر لآخر ومن تيّار فكري لآخر، فالرّومانسيون يرون أن الشعر ترجمان الروحي، ولابد أن يعبر بعمق عما يختلج في النّفس الإنسانية، ولاشك أن هذا التعمق في أغوار نفسه من شأنه أن يقدم نصوصا معتّمة مبهمة غامضة غموض الأعماق البشرية، والأمر ذاته بالنسبة للرمزيين الذين يعتقدون أن القصيدة لا تتضمن معنى واحدا، على اعتبار أن الكلمات لا تحمل معنى واحدا خاصا، وهكذا يتولد الغموض والإبهام، ونأخذ هذا القول على سبيل التمثيل: «الشعر وليد حمى روحية وحريق مشتعل في النفس، فإذا لم يكن الشعر من وحي هذا الجحيم فعبثا يكتب صاحبه، نثرا أو غير نثر، وعبثا يكتب الناقد، وعبثا تزرع الصفحة الثقافية» [4] .

2.3 أسباب متعلقة بالمتلقي:

قراءة كل نص مهما كان نوعه وشكله تخضع للخلفية الثقافية للمتلقي ولمرجعياته المعرفية، ومتلقي العصر الحديث قارئ مستعجل سريع على شاكلة الحياة الحديثة، وبالتالي كلما قل الهدوء والتروي كلما اتسعت الهوة بين النص والمتلقي، «تواجه الباحث في اللغة العربية صعوبات جمة لتحديد مسار البحث، وذلك لغياب الجهاز المفاهيمي المشترك الذي يضبط المصطلحات والمفاهيم والأبعاد في الحقل الدراسي المحدد، ولخضوع كثير من الكتابات للتأثيرات الأيديولوجية المباشرة. لذا غالبا ما تأتي الدراسات متنافرة ومتناقضة أحيانا حتى في الحقل الدراسي الواحد، كذلك تأتي متباينة في درجة عمقها وموضوعيتها». [5] وتبقى القصيدة المعاصرة بحاجة إلى قارئ مثقف جدا حتى يتمكن من حل شفراتها «فغموض العمل الفني قد لا يرجع إليه وحده، فربما كان مرجعه إلى الشخص المقدر للقيمة الجمالية أو المتذوق لها».[6]

3.أنواع الغموض: أخذ الغموض في الشعر العربي المعاصر أنواعا وأنماطا مختلفة، حسب مستويات توظيفه ومقاصد الشعراء، ويمكن إجمالها في نوعين أساسيين:

3.1الغموض الإبداعي: وهو غموض إيجابي ينبني على الإبداع في المستويات الفنية للنص، مما يجعله نصا مفتوحا متعدد القراءات، لأن الغموض فيه يعود بالأساس إلى المدلول لا الدال، ويتبدد بمجرد القراءة الواعية المتأملة. كما يراعى فيه المنطق وقواعد اللغة.

3.2 الغموض المعقد أو غموض التعمية: وهو غموض سلبي مرفوض من قبل الباحثين والنقاد، لأنه ناتج عن الضعف والركاكة، إضافة إلى الإشكالات التي يضعها في وجه المتلقي بسبب صعوبة فك مغاليقه، فهو« لا يمثل أي صفة فنية على الإطلاق، ومن السهل أن نعده صفة سلبية في الشعر أي شيئا معيبا »[7] –على حد تعبير عزالدين إسماعيل–وهو غموض يؤدي إلى تشكل فجوة بين النص والمتلقي.

4.مظاهر الغموض في الشعر العربي المعاصر: من أهم مظاهر الغموض في الشعر العربي المعاصر ما يلي:

4.1 توظيف الرمز: يعد الرمز من وسائل التعبير الحديثة في القصيدة المعاصرة، يلجأ الشاعر لاستعماله بغية التعبير عن مشاعره بطريقة إيحائية دون وصفها أو تسميتها، وتلك غاية الشاعر «في بلوغ الإتقان الفني والقدرة على التوصيل والتأثير»[8]، وهناك علاقة وثيقة بين الرمز والغموض في الشعر، نظرا لقدرته على الإيحاء وتكثيف دلالات النص. وهو يتنوع بين الأسطوري والتاريخي والتراثي وغيرها. ويجب التفريق بين الرمز الذي يولد غموضا فنيا محببا للنفوس والرمز المبهم الذي تنفر من الآذان، ويشبه أحد الباحثين هذه الرمزية اللذيذة بالمرأة الحسناء التي «تتدلل في إبداء زينتها في خفر وحياء، ولكنك ترضى بعد تعب،

وتحل الجهد بعد الاتصال بها، والائتناس بحديثها والتنعم بجمالها؛ لما عندها من فنية، وما لديها من أسرار عزيزة على الغر من الأدباء والباحثين، ثمينة في نفوس العلماء والنقاد الثقاة»[9]، فالرمز المحبب للنفوس هو الذي ينم عن فكر واسع وثقافة عميقة وصنعة فنية.

4.2 تكثيف الدلالة في الألفاظ والتراكيب: والمقصود به اختزال الدلالات والمعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة بغية تشكيل تصور كامل للمعنى المراد بلوغه، ويستعين الشاعر في ذلك بمختلف التقنيات اللغوية «في التركيب والمفردة والجملة(...) واختيار الفكرة والمحافظة على حرارة الموضوع والقبض على نبض الحدث وهو حالة توهج وانبثاق»[10] ، مما يمنح النص شعرية خاصة تميزه عن باقي الخطابات.

4.3 الانزياحات وخرق أفق التوقع:

الانزياح هو استعمال غير مألوف للغة، يستهدف إثارة وعي المتلقي «عندما يصادف كسرا لنظام اللغة أو تشويشا لما هو ثابت في ذهنه ووعيه»[11]، حيث ينتقل بها من المستوى المباشر للمعاني إلى المستويات العميقة، أي الانتقال بها من مستوى الاستعمال المتداول إلى التوليد والإبداع، وهو أبرز معيار اتخذته الدراسات المعاصرة للحديث عن أدبية الأعمال الإبداعية، والشعر نص إبداعي تعد الانزياحات فيه من أبرز ركائز العملية الأدبية التي تستهدف الجمالية بالدرجة الأولى، والمتلقي عاشق للجمال في شتى أشكاله وألوانه، بناء على ذلك تغدو الانزياحات الأسلوبية واللغوية عاملا هاما من عوامل ستر المعاني وإخفاء المضامين فـ« مادامت الرؤيا مغايرة كل المغايرة لما هو مألوف، وكانت اللغة المستخدمة خاضعة لهذه الرؤيا، فإنه من الطبيعي أن يخلق القصيدة إطار من العتمة يجعل الولوج إلى عالمها شاقا » [12]، بغية استفزاز فكر المتلقي وتشويقه لممارسة قراءات متعددة تنتقل به من التلقي العقيم إلى الإنتاج الفعال، عبر تلك الصدمات المعرفية التي تحدثها الانزياحات في فكره، أو ما أطلق عليها بخرق أفق التوقع، فيتولد عند المتلقي «إحساس بالدهشة والمفاجأة في اللامنتظر واللامتوقع، وإن هذا الإحساس يأسر القارئ ويشكل لديه لذة وطرافة وغرابة، يمكن أن تكون أساسية في اللغة الشعرية»[13] للانتقال من الوضع التقريري المباشر للخطاب اللغوي إلى الوضع الجمالي الإبداعي.

5.الموقف النقدي العربي من ظاهرة الغموض في الشعر المعاصر :

تباين الموقف النقدي العربي من ظاهرة الغموض في الشعر العربي المعاصر، فهناك من يراها ضرورة حتمية أفرزتها التطورات الفكرية والاجتماعية التي مست مختلف مناحي الحياة الإنسانية، نتيجة تصلب النماذج القديمة ، ذلك ما عبر عنه أدونيس في قوله: «إن رفض الرؤى الشعرية القديمة للعالم، ورفض الظواهر الثابتة التي تظل هي هي، ورفض شرحها، إن هذا كله ولد عند الشاعر واقعا سديميا محطما، غامض المعنى»[14] ، وغير بعيد عن أدونيس نجد محمد عبد الواحد حجازي يبرر للغموض بضغوطات العالم المختلفة واضطراباته الدائمة، كل ذلك ولد حالة لا استقرار لدى الشاعر المعاصر، فانعكس ذلك على لغته، فهو « يحاول أن يشق طريقه وسط غيوم كابية من الغموض، فإذا انعكست مشاعره على عمله الفني، فلا تثريب عليه ولا لوم» .[15]

بالمقابل نجد فئة من النقاد رفضت هذه الظاهرة رفضا شديدا، معتبرة إياها إفرازا من إفرازات الحداثة الغربية، وضعفا في الإبداع الشعري لدى المبدع، «أنا أعرف أن هناك نقادا وأدباء ليس لديهم ما يقولونه فيلجأون إلى الغموض الذي لا يخفي أي قيمة فنية أو أية قيمة جمالية» .[16]

وما تجدر الإشارة إليه أن المعارضين لم يرفضوا الغموض كلية لكون جزء أصيل في الشعر، لكن ما أعابوه هو المبالغة فيه لدرجة التعمية« والغموض من طبيعة كل شعر، عربي أو غير عربي، ولكن التعمية ليست أبدا من جوهره، ولم يعرف تاريخ الشعر العالمي مرحلة باتت فيها المذكرة الإيضاحية التي يجب أن ترفق بالقصيدة مطلبا قوميا كالمرحلة التي يمر بها الشعر العربي اليوم »[17].

5. مقاربة تطبيقية في نماذج شعرية مختارة:

1.5 الغموض في شعر: "أدونيس، تميم البرغوثي" بين التعمية والإبداع:

أ/أدونيس: يقول أدونيس في قصيدة: «البعث والرماد»[18]

فينيق، إذ يحضنك اللهيب، أي أفق تروده؟

والزغب الضائع كيف تهتدي لمثله؟

وحينما يغمرك الرماد، أي عالم تحسه؟

وما هو الثوب الذي تريده، اللون الذي تحبه؟

وما تعاني حينما تهمد كل خلجة؟

ففي هذا المقطع، يبني الشاعر صورته الفنية على رمز إغريقي أسطوري، يسائله ويحاوره حول كيفية العودة إلى الحياة من جديد، عودة الأمة بعد مماتها، ولكن الإشكال المطروح هنا، إذا كان المتلقي لهذا النص يجهل مرجعية هذا الرمز، فإن القصيدة تصبح نصا مغلقا مستعصيا على الفهم، مما يؤثر سلبا على فهم معانيها.

ويقول في قصيدة "نوح الجديد":

رحت في فلكي

أزيح الحصى والطين عن محاجر الميتين

أفتح للطوفان أعماقهم

أهمس في عروقهم أننا

عدنا من التيه، خرجنا من الكهف

فالشاعر يستحضر حادثة الطوفان الدينية في عهد سيدنا نوح عليه السلام ليعبر من خلالها عن تجربته المعاصرة، فيكون الطوفان هو الوجه الذي أفرغ فيه أدونيس فلسفته، والتي يرغب أن تصل إلى أعماق الآخرين. والمتأمل في هذه الأسطر الشعرية يجد أن أدونيس يوظف رمزا دينيا "الطوفان" بدلالة معاكسة عن المعنى الأصلي، فإذا كان طوفان سيدنا نوح لهلاك المفسدين والمشركين فإن طوفان أدونيس بعث جديد لحياة جديدة ورؤى مغايرة لما كان سائدا. [19]، إنها صورة شعرية بالغة الغموض لاسيما التحوير الذي أحدثه الشاعر في مرجعية الرمز الموظف، فحتى وإن افترضنا سلفا أن المتلقي يمتلك خلفية معرفية عن قصة

سيدنا نوح فإن الصورة الشعرية بهذا الشكل المعكوس تشكل صعوبة في فك مغاليق هذا النص، وبناء عليه سينفر المتلقي من نصوص بهذا التعقيد، فما الأدب إلا متعة جمالية أو رسالة أخلاقية.

ب/تميم البرغوثي: يقول البرغوثي في قصيدته « في القدس»[20]:

في القدس بائع خضرة من جورجيا برم بزوجته
يفكر في قضاء إجازة أو في طلاء البيت
في القدس توراة وكهل جاء من منهاتن العليا يفقه فتية البولون في أحكامها
في القدس شرطي من الأحباش يغلق شارعا في السوق
رشاش على مستوطن لم يبلغ العشرين
قبعة تحيي حائط المبكى
وسياح من الإفرنج شقر لا يرون القدس إطلاقا
تراهم يأخذون لبعضهم صورا
مع امرأة تبيع الفجل في الساحات طول اليوم

يجد القارئ لهذه الكلمات أنها من معجم لغوي معاصر خال من غريب الألفاظ وموحش الكلام، لكنها مثقلة بمعاني عميقة يمكن أن تستشف بالقراءة الواعية المتأملة، فهي تصف لنا واقع القدس الذي تجمعت فيه أجناس بشرية مختلفة لا تجانس ولا تشابه بينها إلا المكان الذي نهبوه دون وجه حق، غرباء يحكمونها، تجار من جورجيا يعيثون فسادا في خيراتها، وجنود ظالمون –دون السن القانونية لحمل السلاح–يفتحون الشوارع ويغلقونها كما يشاؤون، وسياح تائهون تافهون لم يلفت نظرهم إلا صور النسوة بائعات الفجل. بهذه الكلمات البسيطة في رسمها، العميقة في دلالتها يرسم لنا البرغوثي واقع القدس وما آلت إليه، مستعملا صورا فنية غاية في الإبداع.

ويختم قصيدته الرائعة بهذه الصورة الشعرية البليغة التي جسد فيها القدس شخصا محسوسا يواسيه ويخفف عنه آلامه عند الوداع ويبث فيه الروح الأمل من جديد، فيقول:[21]

والقدس صارت خلفنا
والعين تبصرها بمرآة اليمين
تغيرت ألوانها في الشمس من قبل الغياب
إذ فاجأتني بسمة لم أدر كيف تسللت للوجه
قالت لي وقد أمعنت ما أمعنت
يا أيها الباكي وراء السور، أحمق أنت؟
أجننت؟
لا تبك عينك أيها المنسي من متن الكتاب
لا تبك عينك أيها العربي واعلم أنه

في القدس من في القدس لكن
لا أرى في القدس إلا أنت

فيا لها من صور فنية بديعة تضاعف الإحساس بالقضية الفلسطينية وتعمق المتعة الجمالية لدى المتلقي، فلا يحس بالكلمات إلا وهي تنساب انسيابا رقراقا. إنه الغموض الساحر المولد للإبداع والإلهام.

2.5 الغموض في التجربة الجزائرية المعاصرة: "مقاربة تطبيقية في نموذجي: الأخضر فلوس وعبد الملك بومنجل":

أ/الأخضر فلوس: يقول الشاعر الأخضر فلوس في قصيدة « أحبك ليس اعترافا أخيرا»[22]:

أحبك ليس اعترافا أخيرا
فهل تدركين العلاقة بين اعترافي ومودتي؟
تلفعت بالليل حتى أنام ...فكنت دجاه
هربت لأوردة النجم.. كنت ضياه
تدخلت بين الشواطئ
والموج كنت ارتطام المياه
تلاشيت في الصوت كنت صداه
وحين تلفظت باسمك جهرا
توالد في احتراق.. وطيفك تاه

يعبر الشاعر في هذا النص الموحي عن تجربة حبه العميقة، ومعاناته التي يلقاها في هذا الحب المتجدد المتنامي باستمرار، فصورة الحبيب متمثلة في مختلف مظاهر حياة الشاعر، يفر منها إليها، فها هو الليل موطن السكون والهدوء أصبح رمز المعاناة لأنه الحبيب تلبس بدجاه، وكذا الأنجم والشواطئ وغيرها من الصور البديعة التي استعان فيها الشاعر بعناصر الطبيعة لبث مشاعره وإيصال شحنته الشعورية الفياضة التي يحملها لحبيب قد يكون رمزا للوطن الغالي الجزائر، التي لا ينتهي حبها أبدا، فما إن ينطفئ حتى يشتعل من جديد، معلنا عودة النبض والحياة لقلب الشاعر، ومن ورائه بلاده الحبيبة.

ويقول في قصيدة "سبع شمعات" من ديوان: «مرثية الرجل الذي رأى»[23]:

وجه من بلادي
حينما قابلته أول مرة
كان في شارع سعد يشرب
يشرب القهوة مرة
لم أشاركه ولكن
جرحتني شفرة الغربة لما
أخرج الشيخ من البستان زهرة
فتعرفت على رائحة الأوراس فيها
إنها من بلدي

لم تمت بعد ثلاثين من الصبر

بعيدا عن ربيع البلد

يصف الشاعر في هذا النص الإبداعي غربته القاسية بصور فنية غاية في الجمال، فالمعجم اللغوي يبدو بسيطا متداولا، لكن غموضا خفيا يتخفى خلف الكلمات، أوجده رمز "القهوة المرة" "رائحة الأوراس" و"ربيع البلد"، وزاده تشويقا التكثيف الدلالي للعبارات والتراكيب، من قبيل: "وجه من بلادي" و"شفرة الغربة" و"ثلاثين من الصبر"، مما يفتح للمتلقي شهية القراءة والتأويل، والمتعة والإفادة، عبر تحليل بنيات الصور الشعرية في هذه الأبيات الزاخرة بالأنساق الجمالية والثقافية التي تكشف في نهاية المطاف عن حنين الشاعر إلى وطنه الأم.

ب/عبد الملك بومنجل: يقول الشاعر والناقد عبد الملك بومنجل في أبيات من مطوية «العالم الآخر»[24]:

مضيت إلى حيهم والتقينا

فلله، كم يسعد الظافر

ظفرت بلقياهم فالحياة،

حياة، وسلسالها وافر

ظفرت بأحبابي المكرمين

لهم والمدى مشهد فاخر

رأيت الأمين، وحين انبرى

تعثر بي حظي العاثر

خطوت إليه عجولا خجولا

ولي خافق عاشق حائر

أأرمي إلى حضنه خافقا

جريحا، وجرح الهوى غائر

نتلمس في هذه الأبيات الجميلة اللطيفة غموضا لذيذا في المعنى رغم سهولة الألفاظ المعبر بها، غموض شكلته الصورة الشعرية النامية التي لا يمكن فهمها إلا باكتمال جميع أركانها، فمن هم يا ترى المعنيين بحديث الشاعر؟ من هم هؤلاء الأحباب المكرمين؟ يجد المتلقي صعوبة في فهم المعنى لأول وهلة، ولكن بعد القراءة المتأنية المتأملة يكتشف فيضا من المعاني الراقية، وكأن الشاعر يلبي رغبة خفية في داخله تسمو به عن الدنيا وهمومها إلى عوالم أخرى أكثر صفاء ونقاء.

ويواصل بلغة إيحائية ذات عطاء لامتناهي، قائلا: [25]

خطوت إليه، رآني، دعاني:

تعال إلى الحضن يا شاعر

أويت إلى حضنه باكيا

فقد هزني فرح غامر

رأيت الكليم، فكم من شذى
تناثر مسكا ولا ناثر
وكم من بهاء تجلى به
محياه والمبسم الزاهر
رأيت الكليم وكلمته
جرى بيننا مسكه العاطر
فلاطفني: أين فرعونكم
وقارون والجبت والساحر؟
فقلت، وقد لذ لي لطفه:
أبادهم الغالب القاهر
وأفضوا إلى حفرة من هوان
ونار يسعرها الساعر

إنه لتصوير بديع وخيال ساحر يسبح بالمتلقي في فضاءات من النقاء الأبدي، ينقله في رحلة إلى عالم الآخرة، حيث يلتقي الشاعر بخير خلق الله الأنبياء والمرسلين، وعلى رأسهم سيد الخلق محمد رسول الله، كل ذلك يصوره الشاعر في أحلى صورة وأبدع حلة، لا يمل منها المتلقي ولا يسأم، لأن الشحنة الشعورية المحمولة في كلماتها وتعابيرها تجذب القارئ بلطف وتحفزه بشوق أن يواصل القراءة حتى نهاية القصيدة.

ذلكم هو الغموض الإبداعي، والتخفي اللذيذ المبني على الإشارة والإيحاء باستخدام صور فنية راقية مبتكرة، وهو الغموض المحبب لدى المتلقي لأنه يضاعف إحساسه بالمتعة الفنية، فما مالنا لو اجتمع جمال التركيب مع رقي المعنى !

6.خاتمة :

تعد ظاهرة الغموض من أبرز الظواهر التي لازمت الشعر المعاصر، وقد تباينت الآراء إزاءها، بين من يعتبرها ضرورة حتمية فرضتها ظروف الإنسان المعاصر، وبين من يرفضها ويعدها إفرازا من إفرازات الحداثة والاحتكاك بالمنجز الغرب، وقد حاولت هذه الورقة البحثية إضاءة مختلف المحاور التي تتعلق بهذه الظاهرة، مع تقديم مقاربة تطبيقية لنماذج مختارة، تمثلت في أدونيس وتميم البرغوثي، إضافة إلى الشاعرين الجزائريين الأخضر فلوسي وعبد الملك بومنجل، ويمكن إيجاز النتائج المتوصل إليها في:

_يعد الغموض سمة بارزة ملازمة للتجربة الشعرية العربية المعاصرة.

_تلخص أسباب الغموض في ثلاث عناصر أساسية: النص، المبدع والمتلقي.

_يقسم الغموض إلى قسمين: غموض إبداعي ويكون على المستوى الفني والدلالي، وهو محبب ومطلوب في العمل الإبداعي. وغموض معقد يؤدي إلى التعمية والإبهام وهو سلبي ينفر منه المتلقي.

_تعددت وتنوعت تجليات وتمظهرات الغموض في الشعر العربي المعاصر بين الرمز بمختلف أشكاله، الأسطوري والتاريخي والتراثي وغيرها، وبين تكثيف الدلالة في الألفاظ والتراكيب، إضافة إلى الانزياحات وخرق آفاق التوقع.

_تباين الموقف العربي من ظاهرة الغموض بين الرفض، على أساس أنه من إفرازات الحداثة الغربية، وبين القبول والتأييد، لكونه ضرورة حتمية استدعتها التحولات الفكرية والاجتماعية.

_اتضح من خلال المقاربة التطبيقية في النماذج المختارة أن: الغموض السلبي ناتج عن التعقيد اللفظي بالدرجة الأولى، وقلب وتحوير الصور الشعرية بطريقة غير منطقية،كبعض نصوص أدونيس.

_أما الغموض الإبداعي فهو نقيض السطحية والمباشرة في المعاني، ويمكن عده من صميم العملية الشعرية، وهو محبب لدى المتلقي وتنجلي ظلاله بمجرد القراءة الواعية المتأملة، وتجلى من خلال نصوص: تميم البرغوثي والشاعرين الجزائريين الأخضر فلوس وعبد الملك بومنجل.

7. قائمة المصادر والمراجع:

- **الكتب:**

أ/ العربية:

1. _ الأخضر فلوس: أحبك ليس اعترافا أخيرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر
2. _ الأخضر فلوس: مرثية الرجل الذي رأى، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002
3. _ أدونيس: الآثار الكاملة، دار المدى، 1996 ج1، ج2 ، ج3.
4. _ أدونيس: محاولة في تعريف الشعر العربي الحديث، 1959، مجلة شعر، العدد 11
5. _ آمنة بلعلى: أبجدية القراءة النقدية، دراسة تطبيقية في النقد العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
6. _ تميم البرغوثي: في القدس، دار الشروق، لبنان.
7. _ جهاد فضل: قضايا الشعر الحديث، دار الشروق، لبنان، ط1، 1984.
8. _ حسن الخاقاني: الترميز وسماته في شعر عبد الوهاب البياتي، دكتوراه، جامعة الكوفة، العراق،كلية الآداب، 2006.
9. _ سماح أحمد: الغموض في الشعر الفلسطيني بعد عام 1987، الجامعة الإسلامية غزة، 2017.
10. _ عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، 2013
11. _ عبد العليم محمد إسماعيل علي: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2011.
12. _ محمد بركات حمدي ، دراسات في الأدب، الإسكندرية، مصر، 2000.
13. _ محمد عبد الواحد حجازي: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء، مصر، 2001.
14. _ موسى سامح رابعة: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي، الكويت، 2003
15. _ عبد الملك بومنجل: أبيات من مطوية "العالم الآخر" نشرها بصفحته في الفايسبوك بتاريخ 8 أكتوبر 2022

قائمة الإحالات:

1 – عبد العليم محمد إسماعيل علي: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ص50

2 _ سماح أحمد: الغموض في الشعر الفلسطيني بعد عام 1987 ص 40

3 _ عبد العليم محمد إسماعيل علي: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ص9

4 _ جهاد فضل: قضايا الشعر الحديث، ص 46.

5 _ عبد العليم محمد إسماعيل علي، ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ص88.

6 _ محمد عبد الواحد حجازي: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ص 46.

7 _ عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر ص190

8 _ حسن الخاقاني: الترميز وسماته في شعر عبد الوهاب البياتي، دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الآداب، 2006، ص2

9 _ محمد بركات حمدي ، دراسات في الأدب، الإسكندرية، مصر، 2000 ص 290

10 _ أحمد جاسم الحسين: القصة القصيرة جدا، دار التكوين، سوريا، 2010، ص 52

11 – موسى سامح رابعة: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي، الكويت، 2003 ، ص56

12 – عزالدين إسماعيل مفهوم الشعر في كتابات المعاصرين، فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة م1، ع4، 1981، ص81

13 – موسى سامح رابعة: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها،ص56

14 _ أدونيس: محاولة في تعريف الشعر العربي الحديث، مجلة شعر، العدد 11، ص 86

15 _ محمد عبد الواحد حجازي: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ص 59

16 _ جهاد فضل: قضايا الشعر الحديث، ص 24

17 _ المرجع نفسه، ص 43.

18 _ أدونيس: الآثار الكاملة، دار المدى، 1996 ج1، 253

19 _ ينظر آمنة بلعلى: أبجدية القراءة النقدية، دراسة تطبيقية في النقد العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص82

20 _ تميم البرغوثي: في القدس، دار الشروق، ص 7

21 _ المرجع نفسه، ص 12

22 _ الأخضر فلوس: أحبك ليس اعترافا أخيرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص9

23 _ الأخضر فلوس: مرثية الرجل الذي رأى، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002، ص 43

24 _ عبد الملك بومنجل: أبيات من مطوية "العالم الآخر" نشرها بصفحته في الفايسبوك بتاريخ 8 أكتوبر 2022

25 _ المرجع نفسه.